

أصدقاء وأحبة



الروح الأبية العزيزة العزيزة

قزاة الملائكة

الأنفاس العذبة الكريمة

لقد دخلوا حياتنا ذات يوم

فتركوا هسات حية وآثاراً بعيدة الغور

استقرت في حنايانا وبقيت تعزف على قيثارة الأحلام

أشجى نغمات الذكرى وأغزبها متعة للروح.

تلك الأطياف العزيزة التي جذبتنا احياة إلينا أو جذبتنا إليها

لم تكن سوى أفكار ملائكية ظهرت بأشكال مألوفة لنا..

لتبعث في النفس البهجة وتوحي ما توحي من آيات الفرح والعزاء..

فتبسم ما ارتضى وتوصل ما انقطع من أوتار الإيمان بالحياة

وبالطيبة المتأصلة في بني البشر بالرغم من المفاجآت!

وتتساءل النفس عن تلك الأطياف التي بدت ذات يوم حية متوهجة

وكانها انبثقت للتمن نور ذهبي بهي

أو ظهرت فجأة في بساتين الروح ومروج الذكرى

ثم توارت ولم يبق منها سوى صور عزيزة تبسم صامتة.. وتترين جدران الذاكرة.

لقد سعدنا بها وثدقنا بقريرها غبطة الرضاء إلى حين..

ولأن كياناتها بأسره كان ينفخ عطور البهجة ونسائم المحبة المنعشة

فكانت قلوبنا تستعذب القرب من تلك الأطياف التي ننادي

بعد أن أصبحت...

حديثَ الربّي والشوادي

وكلما كانت المغيلة قوية التيقظ

كلما استحضرت تلك الأطياف الغالية

التي لا تعتّم أن تقترب من أفق الروح

متهادية كالسحاب الزاهي في سماء زرقاء صافية..

فتبتسم مؤكدة إحساسها بأفكارنا وتجاوبها مع خلجات قلوبنا..

هامسة بما معناه:

حقاً أن التكرار سرٌ كل تمتع وكل مسرة!

في مثل تلك اللحظات تتوقف عجلة الزمن للحظة عابرة

وتكفّ عربة الإندفاع المحموم عن الحركة..

فتظهر في أفق النفس ومضات من غير هذا العالم

ويتناثر رذاذ سديمي على ضفاف السكون..

وقد نبصر أحياناً وجوه تلك الأطياف الحبيبة

تحيط بها هالاتٌ من ترانيم الوفاء القديم

وأقباسٌ من أضواء المحبة المعهودة..

تلك الأطياف التي تطوف بوجداناتنا..

تندمج بأفكارنا وترافق سياحتنا إلى ما وراء حدود المادة..

بعيداً عن مسرح الأرض إلى عوالم الشوق الصامتة.

تلك الأطياف التي تبدو قادمة من بوابات الأثير المشرعة

تأتي لتستقبل نبض الكنين بقلبيها وتعود إلى فضائها مثلما بزغت..

بأودية من نور.. وقد بللت أحفانها قطرات الكنين

المنهولة من مآقي الذكريات المخالدة.

تلك الأطياف التي تزداد ألغاً وحضوراً وحقيقة مع مرور الزمن..

تراقبتنا في رحلتنا الطويلة..

تشاركنا أفراننا..

وتتغلغل في مطاوي نفوسنا لتصل إلى قدس الأقداس..

إلى محراب القلب وهيكل الروح..

حيث نلتقي من جديد.. ونستعيد

كلماتٍ من عمر الزمن حسبتها مضت إلى الלאعودة..

وإذ بها تعود ويا له من لقاء!

قريبٍ على بُعدٍ.. بعيدٍ على قربٍ..

محمود